تصاعد نضالات شعبنا في الارض المحتلة

ردة فعل طارئة .. أم مقدمات انتفاضة جديدة؟

ما يجري في الارض المحتلة من محاولات اسرائيلية محمومة لتمرير مؤامرة الحكم الذاتي عبر فرض روابط القرى ، وتوسيع الاستيطان وعمليات المصادرة للاراضي العربية ، والرد الشعبي المتصاعد على هذه المحاولات ، والذي تطور مؤخرا الى التحركات الجماهيرية الواسعة ، لفت انظار المراقبين ، واصبح محط اهتمام واسع من قبل الاوساط السياسية والاعلامية العربية والاجنبية .

فبعد ان ادارت وسائل الاعلام العربية والاجنبية ظهرها لهذه الاحداث مكتفية بالتغطية السريعة ، في محاولة لطمسها والتقليل من اهميتها ومغزاها وابعادها ، او ظنا من القائمين عليها ان ما يجري مجرد تحركات محدوده ، اتت كرده فعل مباشرة على الاجراءات الصهيونية الجديدة ، جاءت هذه التحركات التي تصاعدت ، واتخذت مستويات جديدة بالاسبوعين الاخيرين ، بلغت الى حد القيام بعمليات عسكلية ،تتوجت بالعملية الجريئة والبطولية في وسط تل ابيب ، لتجعل الجميع يتساءل ؟ ما الذي يجري في الاراضي المحتلة ؟ هل هو مخاض لانتفاضة جديدة ام فقاعه صابون لن تلبث ان تنقشع ؟

المعاناة ... تتزايد

ان مفتاح الاجابة على هذه الاسئلة ، يبدأ من معرفة ان هذه النضالات ، لم تبدأ من فراغ ، كصاعقة في سماء صافية ، بل هي الامتداد الطبيعي لنضالات وانتفاضات شعبنا ضد سلطات الاحتلال وسياساته وازلامه واجراءاته .

وبدون شك ان تفجر هذه الانتفاضات باستمرار لا يعود باسبابه العميقة الى هذا الحادث او الاجراء او ذاك ، انما الى مجمل المعاناة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يرزح تحتها شعبنا بسبب واقع الاحتلال والاثار المترتبة عليها من سياسات استعمارية صهيونية ، واجراءات قمعية تطال جميع ان لم نقل كل ابناء شعبنا في الوطن المحتل .

كما تعود هذه الاسباب الى حرص شعبنا الدائم على اظهار تمسكه بثورته الباسلة واهدافه الوطنية ، وعلى راسها حقه بالاستقلال واقامة الدولة الفلسطينية .

هذه المعاناة تزايدت ، والشعب الفلسطيني الان احوج ما يكون للالتفاف حول ثورته ومنظمة التحرير الفلسطينية بعد الحرب التي شنها العدو بهدف الاجهاز عليها اجهازا تاما .

فلم يمض كثيرا من الوقت على انتهاء الحرب الاخيرة ، حتى شنت هجمة استعمارية صهيونية رجعية لتمرير مشروع ريغان الذي تحاول الادارة الامريكية من خلاله استثمار نتائج احداث لبنان من هنا تاتي النضالات الجماهيرية الراهنة ، كرد فعل مباشرة على تصاعد الاجراءات الصهيونية من الداخل ولمواجهة محاولات تمرير مشروع ريغان خاصة وان هذه المحاولات اخذت منحى خطيرا بعد تزايد نشاط عملاء النظام الاردني في الداخل من اجل فرض هذا المشروع على شعبنا ، باعتباره كما يدعون الفرصة الاخيرة لارجاع الارض .

واذ يقوم شعبنا بالداخل بهذه النضالات بالرغم من شراسة الهجمة ، وصعوبة الظروف ، فهو يستند الى تجاربه النضالية الطويلة والغنية بمواجهة الاحتلال والى موقف الثورة الفلسطينية بالخارج ، الرافض لهذا المشروع والمتمسك بوحدانية تمثيل منظمة التحرير رغم الضغوط الرجعية العربية ، وعلى بداية تجاوزها لظروف ما بعد معركة بيروت ، كما تدل نشاطات الثورة السياسية والعسكرية بالفترة الاخيرة ومجمل المواقف والممارسات التي تقوم بها مجتمعه ، او الفصائل على حده — مما يبشر بامكانية استيعاب دروس الحرب اللبنانية ، ووضع اقدام الثورة والشعب على طريق تجاوزها خطوة خطوة .

وبهذه التحركات ، قدم شعبنا الاجابة الواضحة على احلام واهداف شارون والزمرة الحاكمة في اسرائيل في انهم باتوا قادرين على تنفيذ مؤامرة الحكم الذاتي بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين من الجنوب وبيروت .

جواب شعبنا بالداخل ، اكد انه مثلما فشل شارون في تحقيق هدف حربه الرئيسي : القضاء على قوات الثورة الفلسطينية وقياداتها وكوادرها الرئيسية ، سيفشل من جديد في فرض مشروع الحكم الذاتي ، بل نستطيع القول اكثر من ذلك ، ان مقدمات الانتفاضة الجارية الان ، تحمل معها بوادر الفشل الاتي لشارون والحكومة الاسلائيلية .

ان شارون وقع ضحية غروره بانتصاره العسكري في لبنان ، حين تصور ان عدم نهوض شعبنا بالارض المحتلة بشكل واسع خلال الحرب اللبنانية الاخيرة ، قد قدم الفرصة لاسرائيل لتحقيق حلمها القديم ، ولم يدرك ان انخفاض مستوى النضالات الجماهيرية والعسكرية النسبي مقارنة مع فترات سابقة انما يعود الى ان جماهيرنا قد اصيبت بصدمة قاسية عندما رات ثورتها مع حليفتها الحركة الوطنية اللبنانية والقوات السورية المتواجدة في بيروت تتعرض لمخاطر التصفية والهلاك ، محاصرة ويقف في مواجهتها ثلثا الجيش الاسرائيلي بكل اعتدته وعتاده ، وبما يملكه من الاسلحة الحديثة ذات القدرة التدميرية الواسعة ، ومع ذلك لم يتحرك اي نظام عربي لمساعدتها وفك الحصار عنها .

هذه الصدمة ، كان لابد لها ان تبدأ بالتلاشي شيئا فشيئا ، كما يظهر بتفجير النضالات الجارية حاليا ، مما يثبت من جديد عظمة شعبنا وقدراته اللامحدودة على تجاوز كافة الصعاب والاستفادة من تجاربه بحيث اخذ ينهض مجددا وهو اكثر خبرة ونضجا واكثر تمسكا بثورته وحقوقه الوطنية .

فالاحداث اللبنانية ، قد اكدت على ان الطريق الوحيد الذي سيؤدي الى بر الامان والى تحرير الوطن ، هو طريق امساك الشعب الفلسطيني لقضيته بيده ، ورفض التعويل على الانظمة العربية واسيادها الامريكان .

وتجربة شعبنا الطويلة في مواجهة الاحتلال اثبتت ان التنازل والاستسلام امامه لن يخفف من المعاناة التي يسببها ولا من سياساته واجراءاته الاستعمارية الاستيطانية والقمعية ، بل على العكس من ذلك يقدم تنازل امام العدو يعطيه اسلحة جديدة تجعله اكثر قوة وعزما على تمهيد الطريق لتحقيق هدفه الرئيسي في الاراضي المحتلة :

تصفية نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية تمهيدا لضم الضفة الغربية وقطاع غزة .

على هذا الاساس نستطيع ان نقول بثقة ان النضالات التي يشهدها الوطن المحتل حاليا ، ما هي الا تمرينات اولية يقوم بها شعبنا اثر تجاوزه لصدمه التخاذل الرسمي العربي ، سيتبعها انتفاضة شاملة ، يرد فيها شعبنا على الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية ويلقن العدو درسا جديدا ، بان احداث لبنان لم تجعل شعبنا بالداخل مستعدا لقبول مشاريعه التوسعية ، قد تكون هذه الاحداث اعادت ثورتنا الى الوراء خطوات عديده من حيث قواها الماديه ومجالات وجودها وتحركها ، ولكنها جعلتها اقوى سياسيا ومن حيث خبراتها والدروس التي استوعبتها او التي من الممكن ان تستوعبها ، بعد تعميق عملية المراجعة النقدية ، التي بدات لمجمل مسيرة وتجربة ثورتنا المعاصرة .

وتؤكد هذه التحركات الجماهيرية ، من ضمن ما تؤكده على ان شعبنا يعيد التمسك بخيار الاستمرار بالثورة والكفاح ، والكفاح المسلح ، والالتفاف بقيادته الوطنية رغم كل الصعوبات والمخاطر التي تواجهها .

ولم يكتف شارون بالانتظار حتى يصبح الشعب الفلسطيني في الداخل راضيا بالحكم الذاتي ، بل قامت سلطات الاحتلال بسلسلة من المبادرات فور انتهاء الحرب اللبنانية ، تجعلنا نقول ان حرب جديدة قد ابتدأت ، ويجب مواجهتها بنفس البسالة والصمود التي واجهنا بها معركة بيروت .

اول هذه المبادرات تدعيم روابط القرى وتجميعها وتنشيطها واعطائها صلاحيات جديدة ومحاولة تلميع رئيسها «دودين» عبر تامين دعوة له لزيارة امريكا ، حتى يقدم للادارة الامريكية كممثل لشعبنا ، ولتسهيل اختراق روابط القرى لاوساط جماهيرنا عبر اظهار دودين كشخصية مقبولة امريكيا .

وابتدعت سلطات الاحتلال بدعة جديدة بتشكيلها مجالس عشائرية ، كاداة جديدة في يدها تضاف الى روابط القرى علها تحصل على نفوذ شعبي عجزت عن تحقيقه سابقتها وعلى صعيد اخر اقامت الحكومة الاسرائيلية عدة مستوطنات جديدة واعلنت عن عزمها عن بناء المزيد من المستوطنات ضمن خطة على ثلاثة سنوات يصبح فيها عدد المستوطنين في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ الى مائة الف مستوطن .

وواصلت سلطات الاحتلال محاولاتها للقضاء على المؤسسات التعليمية عبر سياسة الاغلاق المتكرر للمدارس والجامعات والاستمرار في طرد اساتذة الجامعات حيث اصبح عدد الاساتذة المطرودين يتجاوز العشرين ، بحجة انهم يرفضون التوقيع على وثيقة تدين منظمة التحرير .

وكثفت من اجراءاتها القمعية ضد العناصر والمؤسسات الوطنية عبر منع اي دعم يمكن ان يصل الى هذه المؤسسات واعتقال رموزها او فرض الاقامة الجبرية عليهم .

ولم تكتفي سلطات العدو بكل ما تقدم بل لاحقت شعبنا في قوت يومه ، بحيث فرضت جمارك جديدة ، واجراءات اقتصادية من شانها ان تعطل مصالح مختلف فئات شعبنا بالداخل .

كل هذه الاجراءات والسياسات تستهدف تهجير الاراضي المحتلة ووضع اهلنا في خيارات صعبة الرحيل او التعاون مع الاحتلال .

هذه الخطة الاجرامية لم يقم بتنفيذها سلطات الاحتلال لوحده ، بل ساهمت القنصلية الامريكية بالقدس بنشاط بارز في هذا الصدد فقد قامت باتصالات واسعة ومكثفة مع عدد كبير من الزعماء التقليدين بغية اقناعهم بالاقدام على قبول مشروع ريغان ، والقيام بخطوات تساعد على قيامهم بالمستقبل بتقديم انفسهم كممثل عن الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة والنظام الاردني ، قام بقسطه هو الاخر ،بحيث اصدر التعليمات لعملاءه ، باخذ التوقيع على عرائض تطالب بقيام الاردن بالتفاوض بدلا عن منظمة التحرير .

وبينما كانت الادارة الامريكية وحكام اسرائيل ينتظرون نتائج هذه الاجراءات والاتصالات جاء الرد الشعبي الفلسطيني المتزايد الوضوح يوما بعد يوم ، حاسما في معاداته للاحتلال ومشاريعه وفي رفضه لمشروع الرئيس الامريكي وفي اعلانه عن استمرار تمسكه بوحدانية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية .

ابتدا هذا الرد يظهر عبر برقيات التحية والتاييد لقيادة الثورة الفلسطينية التي ظهرت في صحف المناطق المحتلة ، وتطورت الى نهوض شعبي متعاظم يظهر بالقاء الحجارة على السيارات الاسرائيلية والمظاهرات والاعتقالات وفي الاعلان الواضح بمعارضة الاجراءات والسياسات الصهيونية والتحركات المشبوهة لعملاء الانظمة الرجعية .

ثم اخذ التحرك شكلا متصاعدا بلغ مستويات عالية عندما قام ثوارنا بالداخل بتنفيذ عدة عمليات مسلحة مؤكدين بذلك تمسك شعبنا بالخيار العسكري بوصفه الاسلوب الرئيسي بالنضال ، جنبا الى جنب مع كافة الاشكال الجماهيرية والسياسية الاخرى .

هذا الموقف الشعبي ، المعمد بالتضحيات الغالية والمستند للتراث الكفاحي لشعبنا في طوال تاريخه بشكل عام ومنذ انطلاقة الثورة المعاصرة ، وهو الذي وضع احد الاسس الرئيسية لاستمرار وتفجير النضالات الجماهيرية ، ويضع الاساس لامكانية تطوير هذه النضالات الى انتفاضة جديدة خاصة اذا ترابط ذلك مع قدرة قيادة الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير على استكمال ترتيب اوضاعها ، واعادة مركزه القوات الفلسطينية من الماكز الحيوية للنضال الفلسطيني ، ومع وهذا هو الاهم بلورة برنامج سياسي يستجيب لمتطلبات مواجهة المرحلة الراهنة عبر رفضه لمشروع ريغان ، ولاي محاولة للانتقاص من دور منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

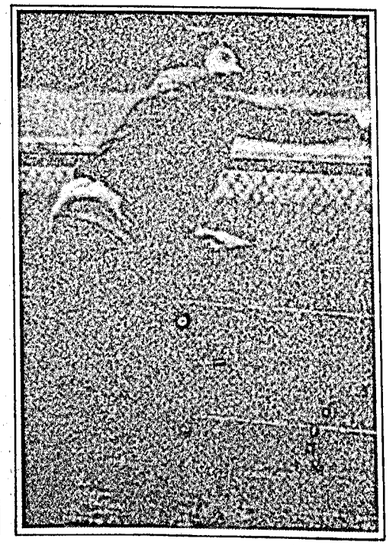

مهام ملحه

وخطورة المرحلة وتحدياتها ، توجب علينا ان نقول بكل جراة ، انه في نفس الوقت الذي وفر فيه تمسك قيادة الثورة الفلسطينية بمكتسبات النضال الفلسطيني خلال نشاطات طوال الاشهر الماضية ، الارض الصلبة ، والاسلوب المتين ، الذي استندت اليه جماهيرنا لتجديد نضالاتها البطولية ، تواجه هذه النضالات بالمخاطر بسبب الاخطاء التي تقع بها بعض الاوساط في منظمة التحرير .

وابرز هذه الاخطاء الاستمرار في تعطيل احياء الجبهة الوطنية في الداخل ، وما يؤدي اليه هذا التعطيل من اضرار على كافة الاصعده . فالوضع الراهن يطرح مهاما مشتركه تقتضي تجاوز كافة السياسات الفئوية العنيفة والخلافات التي كانت تحول دون احياء الجبهة الوطنية في الداخل .

وخطأ اخر لا يقل خطورة ، هو الابعاد التي اتخذتها العلاقات الفلسطينية — الاردنية من قبل بعض العناصر والاوساط في المنظمة ، بحيث يترك الباب مفتوحا امام المشاريع الالحاقية التي يحاول فرضها النظام الاردني . الامر الذي يساعد على تغطية النشاطات المتزايدة والخطيرة التي يقوم بها ازلام النظام الاردني بالداخل .

وخطأ اخر يعود بالضرر على نضال شعبنا بالداخل يتمثل باجراء اتصالات مع النظام المصري رغم تمسكه بسياسة كامب ديفيد . هذا الخطأ الكبير مفندا عن ضرره العام بمجمل النضال الفلسطيني والعربي ، يفتح المجال امام زيادة نفوذ النموذج المصري في اقامة العلاقات مع اسرائيل ويفتح الباب امام عودة تاثير النظام المصري على جماهيرنا بالداخل ، كما بدأ يحدث فعلا .

ان قدرة منظمة التحرير على تجاوز هذه الاخطاء ، هي التي ستجيب الاجابة النهائية ، على امكانية شعبنا على مواجهة التحديات الراهنة ام لا .

وكلنا ثقة ان ثورتنا بقواها الاساسية والحية ، وبتراثها الثوري والديمقراطي ، قادرة على تجاوز هذه التحديات بنجاح .

نصري عبد الرحمن